أنواع التحصينات والإستحكامات الدفاعية للمنشأت الحربية الإسلامية في شمال المغرب في عصري الموحدين والمرينيين

أ.د/ عبد العزيز صلاح سالم * أ.د/ أسامة طلعت عبد النعيم **
أ.م . د/ سعاد محمد حسن* أ/ شامل محمد حلمى عباس*****

ملخص البحث

تعد التحصينات الدفاعية من أهم الوسائل المستخدمة من قبل السلطات الحاكمة للدفاع عن المدن الإسلامية وحمايتها ، والمدن بالمغرب الأقصي تحتفظ بتراث ضخم من الحصون والقلاع والأبراج والأسوار والقصاب التي اهتم بها حكام الدول المتعاقبة علي حكمه فقد قاموا ببناء الأستحكامات العسكرية أو التحصينات الدفاعية بغرض الدفاع عن ممتلكاتهم وحماية مدنهم من غارات الدول المهاجمة لهم ، ودرء الخطر وضمان العيش في أمن واستقرار ، إذ أن الدول لن تكون أمنة في أمان الا اذا حصنت أراضيها بحصون واستحكامات منيعة تحميها من غارات المغيرين واعتداءات المعتدين ، ومع قيام جل الدول التي تعاقبت علي حكم المغرب وماقامت به من حروب ترك ذلك أثرا كبير في الأهتمام ببناء الأسوار ، والأبراج ، والقصاب ، والحصون ، وغيرها من المنشآت الدفاعية ،ويتضح أهمية الموقع الإستراتيجي حيث تبين من خلال نماذج الدراسة أن سياسة العمارة الحربية بالمغرب سواء في اواخر عصر الموحدين او العصر المريني بالمغرب تختار المواقع الإستراتيجية ،ولقد تم اختيار الموقع وفق شروط طبيعية مثل توفر الأمن، والمياه.

كما أن الأسوار الضخمة والأبراج التي تمت إقامتها حول المدينة، قوية ضمنت لها الحماية الكاملة من مطامع الأعداء الموجهة ، متبعة بذلك التعرج، و الانكسار، والانحدار، والإكثار من الزوايا الداخلية، والخارجية في السور، وهذه التقنية اتبعها المرينيون وهي موروثة عن الموحدين، الذين هم بدورهم ورثوها عن المرابطين. كما يتصل بالسور أبراج مختلفة التخطيط، تقوي الأسوار، وتزيد من المناعة، و هذا السور يتوَّج بممشى لتحرك الجند عليه، ويحيط بالممشى وشرفات هرمية الشكل تحمي الجند من سهام العدو، ومن خلالها تُقذف السهام.

الكلمات الدالة : التحصينات - الإستحكامات - الموحدين – المرينيين- شمال المغرب

المقدمة

أولا: ماهية مصطلح التحصين العسكري في المدينة الإسلامية

تعتبر التحصينات أسلوبا استرتيجيا دفاعيا وهجوميا ، إعتمدته الشعوب قديما و حديثا ممثلة في المنشآت و الموانع التي تنجز في مناطق يتم اختيارها على أسس فنية و حربية ،تسمح بتقوية موقع دفاعي ما ،أوحمايته من هجمات العدو ورصد تحركاته ،فحسب ذلك تأخذ التحصينات العسكرية نوعين متباينين :

١- نوع تحصني دائم (ثابت) :تبنى هياكله في أوقات السلم عادة ،بالحجارة أو غيرها في شكل مدن ،أوقلاع أو أسوار أو خنادق مع تدعيمها بوسائل دفاعية أخرى ،كاستخدام جذور الأشجار أو المجانيق ،أو السهام لضرب العدو ، لتتطور الى استخدام السلالم أو الأبراج المتحركة لكسر القدرة الدفاعية و اقتحام التحصينات المختلفة .[١]

٢ – نوع تحصني ميداني (غير ثابت) :تستخدم في حالة الحرب والمواجهة المباشرة مع العدو.[٢] وذلك لتحقيق غرض رئيسي هدفه إحداث التفوق على القوات المهاجمة ،أو وضع عراقيل أمامها للحد من حركتها أو حماية الجنود في موقع المعركة ،وعادة ما تستخدم الخندقة وسيلة لإحاطة القوات المعسكرة للحماية من الهجمات المفاجئة أو عمليات التسلل الليلية لاختراق الخطوط الدفاعية أو رصد نقاط الضعف لدى العدو .

وفي هذا البحث نتعرض الي انواع الوسائل الدفاعية في العمارة الحربية التي استخدمها المسلمون والموحدون والمرينيون بالخصوص في المغرب الأقصي من القرن (٧-١٠هـ /١٣-١٦م)، لتحصين مدنهم إلى جانب توضيح بعض الابتكارات المعمارية الإسلامية.

١- **الأسوار:**

السور هو عبارة عن حاجز يصنعه الإنسان من مواد بنائية بطريقة محكمة، ويتم بنائها حول أي مكان يُخشى عليه مثل المدن، والقلاع، والحصون، والأربطة، وذلك بغرض الدفاع عنها والحفاظ على بقائها[٣].

يتألف السور من عدة أجزاء هي:

الأساس أو القاعدة، وهو الذي يحفر في الأرض، حيث يراعي في عمقه وعرضه سمك وارتفاع السور، فكلما ارتفع السور زاد عمق أساسه وكلما كان سميك زاد عرضه، لأن ذلك يزيد من قوة وثبات السور، وصموده أمام العوامل الطبيعية والبشرية، ويستخدم في تعبئة أو بناء الأساس مواد بنائية مثل تلك التي تستخدم في بناء السور، وإضافة إلى الأساس، يتكون السور من الجدار أو الحائط المرتفع الذي يتم بنائه فوق الأساس، ويستخدم في بنائه مواد بنائية، قد تكون خلطة من التراب (الطابية) أو اللبن أو الآجر أو الحجر، كما يُلحق بالسور في جزئه العلوي الشرفات التي يستقر بها الجند، بغرض الرماية، وكذلك من الأجزاء المهمة في السور الأبراج[٤]، وتمتد على طوله بمسافات في الغالب تكون متساوية، كما أن منها ما يوجد على أركان السور، ومجانبة لمداخله من أعلى.

نري أنه من اسباب اقامة التحصينات في عهد الدولة الموحدية عدة اسباب نذكر منها :

- الإستفادة من القوة المتمركزة في الحصن ومنع العدو من الإستفادة منها ، حتي لا يحقق أي انتصار أو تقدم أو تفوق.

- سلامة المدن من أي خطر من العدو ، كما أن مشكل الأمن والحروب والتهديدات صارت هاجسا يؤرق الكثير من الدول في التاريخ الإسلامي الوسيط خاصة الموحدين .

لقد اهتم الموحدين بفن التحصين و ورثوا تحصينات جاهزة من المرابطين ،بالإضافة الى قيامهم ببناء حصن " تنملل" و حصن " مرأكش " التي حظيت برعاية و عناية ،و تحصين عسكري نموذجي باعتبارها العاصمة المحصنة للموحدين كما اهتموا بتحصين المناطق الساحلية ،حيث أنشأوا الروابط و المحارس ذات المناور أو القلائع التي تشعل النار ليلا ،علي قممها مثل رباط المهدية ،كما اهتموا بالحصون في الأندلس و من بين الخلفاء الموحدين الذين اهتموا كثيرا منها نذكر :

عبد المؤمن بن علي و أبو يعقوب يوسف و الناصر ،أما عبد المؤمن بن علي فينسب اليه بناء سور تاكروت في تلمسان سنة ٥٤٠ هـ ثم بجبل الفتح سنة ٥٥٥هـ[٥]. لوحة رقم (١)

و بنى يوسف ابن عبد المؤمن قصبة اشبيلية سنة ٥٦٧ هـ ،و في عهد المنصور أقيم حصن باشبيلية وفي عهد الناصر تم بناء سور فاس .

وفي عهد الموحدين تم انشاء بمجموعة من التحصينات ،دفاعا لخطر الاسبان منها برج الذهب باشبيلية الذي بناه أبو العلاء ادريس الكبير سنة ٦١٧ هـ ،انظر اللوحة رقم (٢)

و أقام الموحدون مجموعة من التحصينات منها [٦]:

الأسوار وهو تحصين دفاعي ،خشي أو حجري يحيط المدينة و هو خط دفاعي أول ، ويتألف السور من الناحية العلوية من درب يسير عليه المحاربون و يطلق عليه ممشى السور ،و لقد لعبت الأسوار دورا كبيرا في حماية المدن المغربية ،و لما استولى الموحدين على مدينة فاس هدم أسوارها الخليفة عبد المؤمن بن على ،عندما قدم من مكناس حين قال فيها : " إننا لا نحتاج الى سور و إنما الأسوار عدلنا وسيوفنا " ،وحاصر الموحدون مدينة مراكش ٩ أشهر أو ١٠ أشهر و دخلوها في ١٨ شوال ٥٤١ هـ ،و تسلم أسوارها بالسلا لم وتم القبض على آخر أمير مرابطى اسحاق بن على بن تاشفين بعد قتل عدد كبير من أهلها ، حتى تولى المنصور الموحدي الخلافة الذي بدأ في بناء أسوارها ،و أكملها ابنه الناصر الذي بنى سنة (٦٠٠هـ) سورا، [٧]كذلك شيد الموحدون الأسوار على بعض المدن ،و من ذلك ما أمر به الناصر سنة (٦٠١ هـ / ١٢٠٤م) وفي نفس السنة أيضا بنى " يعيش " عامل أمير المؤمنين الناصر الموحدي على بلاد الريف سور مدينة بادس و سور مليلة خوفا عليهم من فجأة العدو النصراني .[٨]

تميزت الأسوار المرينية بشكل جعلها تختلف عما هو موجود ببلاد المشرق[٩] ، حيث كانت أشكالها غير منتظمة وشبة مستطيلة، ولعل هذا يرجع إلى طبيعة الأرض المرتفعة والمنخفضة انظر مخطط (١)

يقول الناصري عن بناء سور سلا: "أحاط أبو الحسن ارض شالة . سلا . بسور مشرف على مجرى الوادي أسفله، يرتفع فوق الأرض المنخفضة ... .وهذا السور المسور لهذه الأرض، مخمس الزوايا الغير مستقيمة "[١٠] إنظر المخطط (١)

إضافة إلى ذلك تميزت الأسوار بكثرة الزوايا الداخلة والخارجة انظر الشكل (١) ،وهذا على ما يبدو أنها تكتيكا حربيا عُرف ببلاد المغرب منذ دولة المرابطين، والغاية منه جعل جند العدو يختبئون خلف هذه الزوايا والمنعرجات، ومن بعد يفاجئهم الجند من فوق الأسوار ويقضوا عليهم.[١١]

وما يلفت النظر عند دراسة الأسوار المرينية نجد أن أسوار العاصمة المرينية فاس تختلف عن باقي المدن، ففي الوقت الذي نجدهم يبنون سورين حول فاس الجديدة، نجد كلا من فاس العتيقة، وسلا، والمنصورة بتلمسان لهم سور واحد[١٢]، ولقد أكد ذلك العمري بقوله: "وتزيد فاس الجديدة على فاس العتيقة في الحصانة والمنعة، والعتيقة بسور واحد من الحجارة، والجديدة بسورين" . وربما مرجع ذلك لما تتميز به فاس الجديدة من أهمية سياسية وحربية لدى المرينيين باعتبارها العاصمة، ومقر السلطان وحاشيته من حرس وعناصر مقاتلة.

ورغم ذلك الاختلاف إلا أن كل أسوار المنشآت المرينية اشتملت على استحكامات حربية، مثل إقامة الأبراج فوقها انظر لوحة (٣) ،وبناء ممشى عليها لتنقل الجند إلى الأبراج وهم في مأمن من قذائف العدو، كما زودت الأسوار بسلالم مصنوعة من الحبال، لسهولة رفعها وإلقائها، كما احتوت على شرفات لقذف السهام . وإضافة لما سبق وحرصا على زيادة دافعية الأسوار قام المرينيون بمنع السكان من بناء بيوتهم على مقربة من الأسوار، وذلك حتى يتركوا للمدافعين مجال للحركة والتنقل بجانب الأسوار ، وتعتبر اسوار فاس الجديدة والمنصورة ،الموجودة في عصرنا شاهدا على ذلك.[١٣]

إن ما سبق قوله يجعلنا نرجح أن بناء المنشآت المرينية لم يكن عشوائيا بل كان على أسس وقوانين تخدم مصلحة الدولة.

وفي الوقت الذي تشتمل فيه كل أسوار المنشآت المرينية على استحكامات حربية، نجد في المقابل اختلاف وتفاوت في مساحة هذه الأسوار وقوة استحكاماتها، وربما يرجع ذلك لعوامل جغرافية، وحربية، ،ونلاحظ الفرق بين ارتفاع أسوار المنصورة وسابقتها فاس الجديدة، فالأولى أسوارها أكثر ارتفاع، وربما يرجع ذلك إلى أن المنصورة مدينة حربية تطل على أملاك بني عبدالواد أعداء المرينيين، وأنها في الأساس بنيت لغرض حربي، وبالتالي من الواجب أن تتمتع أسوارها بحصانة تكون كفيلة بردع القذائف التي قد تفاجئها بها مجانيق بني عبدالواد.

أما من ناحية قوة الاستحكام، فنلاحظ انه هناك فرق واضح بين حصانة أسوار فاس الجديدة والقديمة، فالجديدة أسوارها أكثر متانة، كما انه هناك فرق بين أسوار فاس الجديدة نفسها فمثلا السور الداخلي، أكثر متانة من الخارجي، وكذلك هناك فرق بين أسوار فاس الجديدة، والمنصورة بتلمسان فالأخيرة

تميزت بارتفاع وسمك سورها، ونرجح سبب ذلك لكون المنصورة فاقت مدينة فاس من ناحية الأهمية الحربية، والدور الذي أنيط إليها، فهي مدينة أسست لغرض حربي وهو القضاء على عاصمة دولة بني عبدالواد، لذا كان لزاما أن تتميز أسوارها بالارتفاع حتى تتفادى أي هجوم مُباغت منهم. أما فاس الجديدة فلها سوران، فهما على كفاءة عالية لتوفير الأمن لها، ويمكن أن نقول أنهما عوضا عن الارتفاع، وخاصة أنها قد تتعرض لثورات ومناوشات داخلية، ولكن من المستبعد أن تتعرض لهجوم بالأسلحة القاذفة. ومما سبق نستنتج أن العقلية الحربية المرينية لاتخط أساس سورا ولاتضع لبنة إلا على أسس حربية ودراية وتفكير بنتائج ذلك.

٢- الخنادق والأبراج:

تعتبر الخنادق[١٤] من أهم وسائل الدفاع القديمة و الحديثة ،فقد كانت الجيوش تقوم بحفرها حول مدنهم و حصونهم للدفاع عنها من العدو ." [١٥]

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم أول من حفر خندقا في غزوة الأحزاب ، بإشارة من سلمان الفارسى عندما خطه و قطع لكل عشرة من الصحابة أربعين ذراعا .

ولقد استخدمت الخنادق لزيادة تحصين المدن و دعم القدرة الدفاعية للأسوار ،و يكون محفورا في الأرض بأعماق مختلفة لتأمين حماية المقاتلين من أنظار العدو ،و تكون الخنادق في اغلب الأحيان مملوءة بالمياه اذا كانت قريبة من بمجرى النهر و تكون عكس ذلك لبعدها عن الأنهار ،و لقد برع الموحدين في كسر عمليات الخندقة في دخول حصن قلمالة ٥٨٧ هـ / ١١٩٥ م ،و هو من القلاع سامية الارتفاع والغريبة ،و يصعب على أي جيش اقتحامها فاستطاع الموحدون ايجاد حلول تقنية ،حيث سويت خنادق بالردوم و قرعت أسوارها بالردوم.[١٦]

أما بالنسبة للأبراج

فالبرج هو بناء مرتفع له عدة أشكال منها:

المستدير، والنصف دائري، والدائري، و الهرمي، والمربع، والمستطيل، والمَّضلع، ويكون أما مبني لوحده[١٧] أو ملحق بمبني[١٨] ، ونظرا لأن الأبراج الملحقة هو ما شاع استخدامها فوق المنشآت الدفاعية على مر العصور بما فيها الفترة المرينية، لذا سوف يكون التركيز عليها أكثر من غيرها.

يتم بناء هذا النوع من الأبراج على الأسوار، والقلاع، والحصون حيث نجده ينتشر فوق جوانب المبني، وعلى أركانه، وقد يكون مجانبا لمداخله، ويتميز البرج بقاعدته البارزة عن باقي أجزاء المبني، وإضافة للبروز نجد الأبراج تتصل بالمنشأة من الأساس إلى القمة، وترتفع عنها قليلا ، وينقسم إلى قسمين رئيسيين هما:

قسم سفلى مصمت، وقسم علوي تشغله غرفة للحرس، وفي بعض الأبراج يكون كذلك الجزء المصمت عبارة عن غرفة، وتغطي هاتين الغرفتين بقبوات نصف كروية انظر شكل (٢) وشكل (٣) ،وبالطبع يوجد ممشى للجند يربط بين هذه الأبراج[١٩] .

إن هذه الأبراج بمختلف أنواعها لها عدة مهام دفاعية وهي: أنها تمثل مراكز حراسة ومراقبة متقدمة، حيث أنها تتيح للقائمين فوقها السيطرة على مساحة من الأرض خارج الأسوار، ويصبح في إمكانهم قتل كل من يصل إلى مرمى أسلحتهم، كما انها تستخدم لإرسال إشارات تحذير إلى باقي نقاط الحراسة بمختلف المراكز الدفاعية المقابلة[٢٠] ، كما انه هناك مهام للأبراج لها علاقة بالبروز الموجود بها، فعن طريقها يمكن للمدافعين التقدم قليلاً إلى أمام واجهة المبنى الذي يقع عليه البرج، وبذلك يمكنهم مراقبة المهاجمين وصدهم، لاسيما أولئك الذين يقتربون من قاعدة السور، حيث يكونوا في موضع يصعب معه مراقبتهم أو صدهم من فوق السور، ويصبحون بمنأى عن بصر ومقذوفات المدافعين، وبذلك فان الأبراج بحكم بروزها تعطي للمدافعين الرابضين فوقها موضعاً دفاعياً جيداً يتيح لهم مراقبة جميع أقسام السور والأرض المحيطة به.[٢١]

وللأبراج أهمية غير تلك الدفاعية فهي تمثل دعامة للأسوار وتزيد من قوتها وثباتها وخاصة عندما تكون على مسافات متقاربة وعند أركانها، كما أن بناء الأبراج بدعاماتها يسهل على البنائين عملية بناء الأسوار بسرعة؛ وذلك بأن تتقاسم أكثر من مجموعة بناء المسافات المحددة بين برج وأخر .

كما أن الأبراج بأشكالها، وتعددها، وتناسقها، وانتظام المسافات بينها على أسوار المدن أو القلاع أو الحصون تضفي طابع جمالي على المنشآت[٢٢].

لقد أثبت الموحدين أبراجا و قلاعا للمراقبة في شكل بنايات عسكرية ،تنشأ على أطراف الأسوار أو بداخلها و تكون غالبا على المناطق المرتفعة فتعد بذلك تكملة لدور الأسوار[٢٣] .

لقد تأثر الموحدين بصفة خاصة بالعمارة البيزنطية ،فشيدوا أبراجا مسدسة الشكل كالبرج المسدس في حصن العقاب بالقرب من جيان والبرج المطل على قنطرة القاضى بغرناطة . لوحة رقم (٤)

فقد استعمل الموحدون البرج المثمن على محو منتظم في بناء أبراجهم ،و هذا تعبيرا أندلسى عن الأبراج الخارجية عن نطاق السور ،و ما لبث أن شاع هذا في المدن والقصور .

وقد استخدموا أيضا أبراجا مؤلفة من اثني عشر ضلعا ،كما هو الحال في " برج الذهب باشبيلية "[٢٤]. لوحة رقم (٢)

اما بالنسبة للمرينيون فقد أدركوا أهمية الأبراج الملحقة؛ لذا قاموا بتشييد عدد كبير منها، ومن هذا الأبراج ما كان على أسوار مدنهم، انظر اللوحة رقم (٣) ففي مدينة فاس الجديدة انتشرت الأبراج على أسوارها، وخاصة على سورها الداخلي[٢٥] ، وكذلك على أسوار مدينة المنصورة حيث بلغ عددها حوالي ٨٠ برج .

كما أن مدينة رندة تميزت بكثرة أبراجها، فهي التي قال فيها ابن مرزوق: "وفي بلدة رندة من أثار البناء المحدث عن أمره والمعاقل المحصنة والأبراج الشامخة".[٢٦]

وكذلك من الأبراج ما كان مجانباً لمداخل المدن القلاع والحصون ودور صناعة السفن انظر اللوحة رقم (٥) ،باعتبار أن المداخل من اضعف النقاط بالمنشآت ويلزم تقويتها.

اهتم المرينيون بدقة عمارة الأبراج، فلقد اهتموا بزخرفة الأبراج حتى يعطوها طابعا جماليا وأبهة ورهبة، ولقد حظيت أبراج المداخل بالنصيب الأكبر من ذلك باعتبارها تقع في واجهة المدينة، وتعتبر أبراج مداخل سلا وواجهتها الخارجية مثالا على ذلك انظر الشكل (٣).

كما حرص المرينيون على أن يماثل البرج الأيسر للمداخل في أسوار مدنهم التصميم المعماري للبرج الأيمن للمدخل في السور من الجهة المقابلة لنفس المدينة، ومثال على ذلك مدينة المنصورة بتلمسان، حيث يماثل البرج الأيسر للمدخل الشمالي البرج الأيمن للمدخل الجنوبي وهناك ثمة فروق بسيطة في أبراج المداخل المرينية من مدينة إلى مدينة،من ناحية عرض البرجين والمسافة بينهما، ففي مدينة سلا بلغ عرض البرج ٥,١٠ متر، كما كانت المسافة بين البرجين تصل إلى ٨,٣ متر .

كما أن برجا المدخل القبلي لدار صناعة سلا، تبلغ المسافة بينهما ١٢,٦٤ متر[٢٧]، وإضافة لذلك حرص المرينيون على تزويد هذه الأبراج بتقنيات حربية، ومثال ذلك تزويد كل برج بباب يفتح داخل المدينة؛ كما في برجا دار صناعة سلا، حيث نجد البرج الأيمن له باب يفتح داخل المدينة صوب اليمين والبرج الأيسر يفتح صوب اليسار انظر الشكل (٤).

كما زودت الأبراج من الداخل بمنحدر عبارة عن ممر مظلم يوصل إلى أعلى السور حيث يوجد ممشى الجند ، وبالصعود فوق هاذين البرجين نجد حجرات للجند المدافعين والتي من خلالها يمكن إلقاء المقذوفات من مواد حارقة وسهام على من يحاول اقتحام المدينة،وكانت تبرز هذه الحجرات بشكل واضح في المخطط الذي أورده هنري تيراس في دراسته للبابين بدار صناعة سلا بمجلة هسبيرس ،الصادر سنة ١٩٢٢م انظر الشكل (٥).

كان للأبراج الملحقة المرينية عدة أشكال منها: المربع، والمستطيل، و المضلع، ولقد شاع عند المرينيين استخدام الشكل المربع على أركان الأسوار[٢٨] ، أما المستطيل فهو الذي كان يتوسط الأسوار، أما النوع المضلع فهو شكل فريد من نوعه لانجده إلا في البرجان على مداخل مدينة سلا انظرالشكل (٥) ، وهو طراز عُرفت به العمارة الرومانية والبيزنطية ، ورغم أن الأبراج المضَّلعة تعتبر أكثر جدوى دفاعيا من غيرها من الأبراج، لأنها تتيح للمدافعين إمكانية المراقبة في كل الزوايا مع حرية حركتهم ،إلا أن المرينيين اهتموا ببناء الأبراج المربعة والمستطيلة، ونُرجح السبب في ذلك إلى صعوبة تشكيل وبناء الأبراج المضلعة، إضافة إلى أن بنائها يأخذ وقت طويل.

وإضافة إلى الأبراج الملحقة شيد المرينيون نوعا أخر من الأبراج وهي الأبراج العائمة، ونخص بالذكر تلك التي بُنيت زمن السلطان أبا الحسن في وسط البحر قبالة مدينة سبتة وجبل الفتح.

ولقد وصفها لنا ابن مرزوق بقوله: "ومن أعجب ما أنشأه في هذا النمط رضي الله عنه، الأبراج التي اجتمع أهل الخبرة بالمباني وعُرفاء العمارة قبل أن تنشأ ليتصور بناؤها على الوجه الذي قدره وأراده، فجاءت على أتم الوجوه والإحسان، فمنها برج الماء الذي أنشأه داخل البحر ووسط الأمواج ببحر بسول من ساحل سبتة، وقد حضرت إنشاءه"

أما عن طريقة بنائها يقول: "وكان قد أجتمع الملأ على عدم إمكان بنائها هنالك، فنقلت الصخور التي هي كالروابي والأحجار التي لايتزحزح مثلها إلا بهندسة وأحكام وعجل، فألقيت في تلك التروش، وضم إليها أمثالها، حتى صارت جزيرة في وسط البحر، فأقام عليها ذلك البرج المشيد المعروف هناك ، ثم أمر بعمل جسر يمر من الساحل إلى هذا البرج "

وعن أهميتها الحربية يقول: "صان ذلك البرج جميع المرسي، فلا يتهيأ لأحد من المراكب الدخول لذلك المرسى إلا أن يكون صديقا، وإلا فهو يشرف على جميع ما يدخل تحتها، وهو من أعاجيب معمورات المعمور"[٢٩]

ويذكر أبراج أخرى من نفس النوع في قوله: "ومنها الذي على المشحن أيضا من المدينة المذكورة، وآخران من هذا النمط بالجبل المحروس ـ يقصد جبل الفتح ـ" ، ومن المرجح أن هذا النوع من الأبراج كان يتم الصعود إليه عن طريق درج يدور بداخلها إلى أعلى، وذلك على غرار ما كان عند الموحدين ببرج الذهب بأشبيلية زمن الخليفة أبو العلاء إدريس بن المنصور سنة ٦١٨ هـ ١٢٢١م[٣٠] .

٣- المداخل والأبواب

تمتاز الأبواب بوضع عقبات أمام المهاجمين بانحناءات ،و تسمى أيضا بجهاز الأمن هدفها حماية المدينة و هو عبارة عن عقدين متقابلين أحدهما ينفتح الى الداخل و الآخر ينفتح الى الخارج[٣١].

ولقد أنشأ الموحدين أبوابا مرافقها مزدوجة ،و أخرى ذات ثلاث مرافق ،ومن بين المدن التي بنيت لها الأبواب نذكر : قصبة الأودية بالرباط لوحة رقم (٦-٧) ،و لقد اتخذها عبد المؤمن بن علي دارا له فأدار لها أسوارها و بنى مسجدها و مدرستها ،و أجرى اليها الماء من نحو عشرين ميلا ، كذلك مدينة رباط الفتح التي اختطها أبو يعقوب يوسف على المحيط الأطلسي و أكملها المنصور[٣٢] .

تتكون المداخل من العناصر التالية وهى:

فتحة المدخل وممر المدخل وباب المدخل، وتعتبر المداخل جزء مهم من أسوار المدن، فهي وسيلة الاتصال بين داخل وخارج المدينة، كما أنها مهمة حربيا للمهاجمين لها والمدافعين عليها، لأن كلا الطرفين يعتبرها نقطة ضعف، فالمهاجم يحاول إعداد العدة لاقتحامها،والمدافع يسعى إلى جعلها أكثر

قوة وتحصين، لذا تنوعت المداخل على مر العصور والدول تماشيا مع تطور الفكر الحربي عبر التاريخ.

فنجد مثلا المداخل مستقيمة المسار، والمنكسرة ، وينبغي الإشارة إلى أن هذا لم يكن حديث التصميم، فالمدن القديمة المصرية الفرعونية مثل مدينة شونة الزبيب التي ترجع إلى ١٧٨٨ ق.م، والمدن العراقية مثل مدينة الوركاء التي ترجع إلى عهد الأسرات القديمة تميزت بهذا الطراز الدفاعي في تصميم المداخل(٣٣) .

ولزيادة حصانة المدخل يتم دعمها من الجانبيين ببرجين، إضافة إلى باب ضخم ومتين من الحديد أو الخشب ونلاحظ ذلك في مداخل المدن القديمة مثل المدخل الجنوبي لبوابة أور بمدينة الوركاء . تناقلت الحضارات هذا التطور في تصميم وبناء المداخل حتى وصل إلى بلاد المغرب، وعملت بها الدولة المرينية.

كان المرينيون بين مكثرا ومقلل من المداخل في أسوار مدنهم، وذلك حسب الضرورة الحربية..

فمثلا في فاس الجديدة كان عدد مداخلها ثمانية، وفي المنصورة بتلمسان أربعة مداخل، وسلا ثلاث مداخل، ودار صناعتها مدخلان، والجزيرة الخضراء مدخل واحد. وقد كانت هذه المداخل في الغالب تتوزع بشكل متساوي على السور، فنجد مثلا بمدينة فاس أربعة منها في الجهة اليمني، ومثلها في اليسري، ونجد مداخل هذه الجهات تكاد تتقابل مع بعضها، فكل مدخل يكاد يقابله مدخل أخر في الجهة الأخرى من السور، أما في مدينة المنصورة بتلمسان، فرغم تعرج ممرات مداخلها، إلا أن أبوابها الأربعة تكاد تكون متقابلة مع بعضها البعض، فالشمالي يقابل الجنوبي ، والشرقي يقابل الغربي ، وذلك على غرار مدينة بغداد التي كان بها أربعة أبواب أبواب تفتح على جهات مختلفة.(٣٤)

فإضافة إلى اختلاف عدد المداخل المرينية من مدينة إلى أخرى، كذلك نجد اختلافا في مساحة هذه المداخل ولعل هذا يكون لضرورة حربية، فمثلا مدينة فاس الجديدة لها مداخل عرض واجهة الواحد منها ٩ أمتار، وارتفاعها ٨ أمتار، وعمقها ٢٠ متر.

تميزت المداخل المرينية بنظام دفاعي قوي، وتمثل ذلك في غرف مسقوفة ومفتوحة بنيت جدرانها بالحجارة تشكل في مجموعها ممر المدخل، ولهذه الغرف مهام دفاعية، فالحجرات المسقوفة تشكل كل واحدة منها ممر شديدة الظلمة، وهذا يحول دون الاندفاع بسرعة لمن اقتحم المدخل وذلك لصعوبة الرؤيا، أما الغرف المفتوحة فتكمن مهامها الدفاعية، في أنها تمثل مقر لتمركز الجند المدافعين من فوقها، فعند مرور مقتحمي المداخل بهذه الغرف المفتوحة تنهال عليهم القذائف والنيران من فوقهم ، وإضافة إلى ما سبق فإن هذه الغرف في مجموعها تشكل منعطفات يمين ويسار، وهذا بالطبع يحد من اندفاع مقتحمي مدخل المدينة بسرعة وفي خط مستقيم،وتعتبر مداخل مدينة المنصورة بتلمسان وسلا دليلا على هذا النظام الدفاعي، وفي الوقت ذاته لانجد هذا في مدينة فاس الجديدة(٣٥) ، وربما يرجع

ذلك لكونهما يقعان في أماكن ذات إستراتيجية حربية، وإضافة لما سبق نجد كذلك نظام دفاعي بالمداخل المدن يتمثل في فوهات ومرامي يدافع من ورائها الجند ، كما انه تم تزويد المداخل بأبواب ضخمة تصنع من الخشب أو الحديد، وتعتبر أبواب حصن تاوريرت مثالا على الأبواب الحديدية ، ولكي تكون هذه الأبواب أكثر إحكاما تم تزويدها بمغاليق تسير على عجلات، وإضافة إلى هذه الأبواب الرئيسية كانت هناك أبواب داخل المدينة تفصل بين الحي والأخر، تقفل في الليل، مما يجعل صعوبة المسير ليلا داخل المدينة، فهذا من المرجح كان لدواعي أمنية مثل الاضطرابات الداخلية ، إضافة إلى حفظ أحياء المدينة من الخطر الخارجي الذي قد يتسلل إلى المدينة أو إلى حي من إحيائها.

وقد شاع عند المرينيين إطلاق تسميات على مداخل منشآتهم، وذلك تماشيا مع ما كان موجودا في بلاد المغرب والأندلس؛ حيث يطلق على المدخل اسم قد يكون اسم المدينة أو المنطقة المفتوحة عليها[٣٦] ، فمثلا مدينة فاس الجديدة لمداخلها بالسور الداخلي أسماء مختلفة منها: باب عيون صنهاجة ، أو باب السمَّارين ـ كما كان يسمى في عصر ابن الخطيب [٣٧] ، ومازالت تطلق عليها التسمية إلى وقتنا الحاضر انظر اللوحة (٥) ،ومن أبوابها كذلك باب الوادي الذي كان يطلق عليه باب القنطرة؛ وذلك بناء على ما أورده صاحب روض النسرين عند ذكره لأعمال السلطان يعقوب بن عبدالحق في سنة ٦٧٤ هـ ١٢٧٥م بقوله: "ولما تم سورها . يقصد فاس الجديدة . بني بها قصره والجامع الأعظم، والسوق الذي حده من باب القنطرة التي يقال لها الآن باب الوادي المصاقبة لباب السبع إلى باب عيون صنهاجة"[٣٨].

أما مداخل السور الخارجي فهي تحمل تسميات مثل: باب الجياف أو الجياد وهو يقع شرق باب السمَّارين.وباب السبع، ويعرف حاليا بباب المكينة انظر اللوحة (٥) ،وكان مدخل فاس الجديدة من جهة فاس العتيقة ، وباب الأمر انظر اللوحة (٨) الذي سمى بذلك لقربه من الثكنة العسكرية . ومن المدن المرينية الأخرى التي حملت أبوابها أسماء مدينة المنصورة بتلمسان .

فلقد ذكر لنا صاحب المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا الحسن ، أسماء ثلاث أبواب وهي باب الحجاز (الباب الشرقي)، وباب فاس (الباب الغربي)، وباب هنين (الباب الشمالي)، ولم يذكر الباب الجنوبي ،ربما لعدم وجود شيء مهم يقابله سوى هضبة لالاستي ،ونلاحظ تسمية الأبواب توافق ما يقابلها، أما بخصوص تسمية باب دار صناعة سلا يقول الناصري: "ولم يبق من آثار دار الصناعة هذه مشاهدا بالعيان اليوم، سوى البابين الكبيرين الشاهقين ... ويعرفان في زمننا هذا ببابي المرديسي ولاندرى هل كان يطلق عليهما نفس التسمية أيام المرينيين أم لا.[٣٩]

وقد حرص المرينيون على إظهار مداخل مدنهم بمظهر جمالي؛ وذلك من عن طريق زخرفتها، وبالطبع هذا لم يكن نابع من الذوق الجمالي فحسب بل كذلك كان مبني على إستراتيجية حربية، فلاشك أن كل

من يقف أمام المداخل المرينية، يصاب بحالة من الذهول والرهبة، لحسن تصميمها ودقة زخرفها، وما تحمله من آيات قرآنية، وكأنها تحذيرا لمن لايعرف بأسهم أثناء القتال، ولدينا أمثلة على هذا الاهتمام في مداخل مدينة فاس وسلا، ففي فاس اتسمت أشهر أبوابها وهو (باب السمَّارين، وباب السبع، وباب أجدال، وباب الأمر) بوجود عقدين متراكبين على الواجهة، الأول منهما منكسر، والثاني له فصوص مزدوجة دائرية الشكل ومتناوبة، والعقد الأخير يطلق عليه العقد الرخوي، وتعلو العقد مجموعة زخارف لمعينات متشابكة، وبعض المداخل تكون تحتوى على مجموعات زخارف على هيئة مثلثات متشابكة، تعلوها مجموعة زخارف نباتية.

٤- المحارس والمناظر

تعتبر من الاستحكامات الدفاعية، وتكون على مكان مرتفع مثل، قمم الجبال، أو المباني المرتفعة كالأبراج، والحصون بالمناطق الثغورية، حيث تمتد من أقصى ثغر إلى أدنى ثغر على حدود الدولة، وتُرفع عليها النار بالليل، والدخان بالنهار للتبليغ عن الخطر،ومن يقوم بمهمة المراقبة والترصد على المناور يسمى النظَّار ـ ويبدو أنها مشتقه من النظر ـ ،ومهمتهم "لرؤية ما وراءهم وإيراء ما أمامهم".

وهذه المحارس، والمناظر قد تتشعب إلى المناطق الداخلية.(٤٠)

لم يغفل المرينيون هذه المنشآت، وفي هذا الشأن يقول ابن مرزوق أن السلطان أبا الحسن المريني: "أنشأ من المحارس، والمناظر ما لم يعهد بمثلها في عصر من الإعصار، وحسبك أن من مدينة آسفي وهي آخر المعمور إلى بلاد الجزائر... محارس ومناظر إذا وقعت النيران في أعلاها تتصل في الليلة الواحدة أو في بعض ليلة، وذلك في مسافة تسير فيها القوافل نحوا من شهرين، وفي كل محرس منها رجال مرتبون نظار وطلاع يكشفون البحر فلا تظهر في البحر قطعة تقصد بلاد المسلمين إلا والتنيير يبدأ في المحارس يتحذر أهل كل ساحل من السواحل ساحلهم، فأمنت السواحل في أيامها السعيدة، ما كان يستمر فيها أسر أهل البوادى وتصبحهم، الاستيلاء على كثير من أهل العهود الذين يأوون إلى البلاد الشطية والسواحل" .(٤١)

فقد قاموا بإنشاء العديد من بالمحارس، والمناظر على المنطقة الممتدة بين طنجة وسبتة؛ وذلك لرصد خطر النصارى ، كما أنهم زودوا طنجة بعدة محارس منها تلك الموجودة بجبل المنارة، وأخرى بمرسى باب اليم.(٤٢)

أما بالنسبة لسبتة فلقد تميزت بكثرة محارسها "وعدد المحارس ثمانية عشر محرسا من المدينة إلى اثني عشر ميلا من خارجها من ناحيتي البحرين ـ يقصد البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي ـ ،وما وراء ذلك إلى بلاد الريف وإلى طنجة لم يدخل تحت هذا العدد منها الطالع الكبير الفد النظير:طالع سبتة الذي بأعلى جبل مينائها المعروف عند الناس بالناظور ... وبها قَلَهُرَّ ة كبيرة، وبداخل القلهرة مسجد،... وهذا الطالع من أعجب الطلائع لكونه يكشف البرين ويشرف على العدوتين إلى بادس من

بر الريف، وإلى طرف القسيس شرقا ومن مالقة، وإلى ما وراء طريف غربا إلى طرف شنيل من بر الأندلس،فلا يخفى عليها من الزقاق شيءولكونها تحت أسوار وأبواب داخل المدينة وفي حكم أهلها إذا تقع فتنة أو يحصل حصار".(٤٣)

كما استكثر المرينيون من المحارس، والمناظر بجبل الفتح وهذا ما نفهمه من ابن مرزوق عند قوله: "وقد أتخذ فيه ـ يقصد سور جبل الفتح ـ محارس ومساكن من البحر إلى البحر تأييد من الله ومعرفة منه".

كما أقام محارس، ومناظر داخل البحر، ووضع بها عددا من النظار(٤٤) .

المرامي أو الجلسات:

منها ما يخصص لتعلم الرماية ومنها ما يخصص للدفاع عن المدن، فمدينة سبتة مثلا كثرت بها هذه المرامي والجلسات، ووزعت على عدة أماكن مثل الميناء وبها تسع مرامي، ومنارة المدينة بها اثنا عشر مرمى، وستة عشر مرمى تلي هذه المنارة، وبقصبة المدينة عند رحبة الزجاج مرمى واحد وبالربض البرانى مرمي واحد، وبخندق القمل عند الباب الأحمر جلستان، وبداخل مدينة أفراك(التي تعتبر من نواحي سبتة) جلسة واحدة، وخارجها عند باب فاس جلستان، وكانت تلك المرامي والجلسات، تختلف بحسب القسي التي يرما بها فيها، ولكل مرمى مسافة معلومة هم اعلم بها، واغلب القسي التي استخدمت في هذه المرامي القوس العربية، وقوس العقار أو اللولب.(٤٥)

٥- **الحصون والقلاع**

لقد أقام الموحدون على أرض المغرب الأقصى سلسلة من القلاع و الحصون ،وذلك لإحكام سيطرتهم على مناطق المغرب الأقصى ،و مراقبة القبائل خشية عصياها و تمردها ،و انتشرت هذه القلاع و الحصون من مراكش في الجنوب حتى مدينة فاس في الشمال ،و من تلمسان في الشرق الى طنجة في الغرب.(٤٦)

و كانت هذه الحصون تشيد من الحجارة و الطوب ذات جدران سميكة ،و تتخللها أبراج نصف دائرية للمراقبة و كان يقيم بهذه الحصون قوة عسكرية و معها المؤن و العتاد.

فلما ناد ابن تومرت بدعوته لم يجد مكانا آمنا سوى إحدى الحصون الطبيعية ،و هو تينملل الذي وجد فيه ابن تومرت موطنا حصينا ،و موقعا ممتازا لينشر منه دعوته و تنطلق منه قواته دون أن يتمكن المرابطون من الوصول اليه وقد وصفت أحصن مدينة هي مدينة تينملل لا يدخلها الفارس إلا من شرقها أو من غربها ، فأما غربها و هو الطريق اليها من مراكش ،و قد زاد ابن تومرت من حصانة هذا الحصن، واتخذ الحصن عاصمة للدولة حى سقوط مراكش وصار مكانا مقدسا ،حيث دفن فيه المهدي والخليفة عبد المؤمن وأبناؤه ،و هكذا لعب حصن تينملل دورا بارزا في استمرار دعوة الموحدين

و بقائها،[٤٧]و من بين الحصون الي شيدها الموحدون :قصبة المهدي التي بناها عبد المؤمن سنة(٥٤٥ هـ / ١١٥٠م)عند مصب وادي أبي الرقراق.[٤٨]لوحة رقم (٩)

كذلك الحصن الذي بناه الموحدون قريبا من تلمسان ،و أيضا بني الخليفة يوسف بن عبد المؤمن حصنا بالسوس الأقصى للإشراف على معدن الفضة الذي ظهر بالمنطقة ،و حمايته من استيلاء السكان عليه.[٤٩]

أما بالنسبة للمرينيون فقد إبتنوا العديد من الحصون والقلاع في المغرب الأقصي نذكر منها

مدينة تطوان

تعتبر تطوان من تلك القلاع أو القصبات[٥٠] التي بناها المرينيون شمال المغرب الأقصى لوحة رقم ، ومع مرور الوقت طوروا منشآتها وأصبحت مدن تتمتع بمختلف المرافق المدنية والحربية[٥١]، ومن أهم المنشآت التي تم بنائها بها القصبة – لوحة رقم ١٠، وذلك سنة ٦٨٥هـ١٢٨٦م، كما استكمل في سنة ٧٠٨هـ١٣٠٨م تحصين قصبتها، وبناء باقي مرافقها، واتخذوها مقرا لإقامة عساكرهم، وذلك لمراقبة الثورات التي قد تأتى من سبتة التي "صارت ركابا لمن يروم الخروج عن السلطان من القرابة المستقرين وراء البحر غزاة في سبيل الله" أمثال عثمان بن أبي العلاء، الذي احتلها مع أعوانه من بني الأحمر[٥٢] وفي الوقت نفسه اتخذوها مقرا لمحاصرة سبتة، على عادتهم عند حصار المدن، مثل حصار تلمسان، والجزيرة الخضراء.

مدينة سلا

هي مدينة ساحلية وقاعدة بحرية تقع على الساحل الغربي للمغرب الأقصى، اهتم بها المرينيون، وذلك بأن أقاموا عليها منشآت حربية ذات استحكامات قوية مثل السور الذي بنوه على جهتها الغربية المقابلة لوادي أبي الرقراق، كما قاموا بعمليات ترميم لباقي أسوارها التي تعرضت للدمار بسبب غزو القشتاليين لها سنة ٦٥٨هـ١٢٦٠م، ولقد كان السلطان يعقوب بن عبدالحق على رأس من شاركوا في هذا التحصين، ولقد رافقه في ذلك القادة وزعماء القبائل[٥٣].لوحة رقم١١

مدينة بادس

تقع على السواحل الشمالية لبلاد المغرب الأقصى، فهي ذات أهمية عسكرية، وتجارية فمنها،يخرج التجار إلى بلاد السودان، وطرابلس، والقيروان، ونفطه ،أي أنها إحدى أهم البوابات التي تربط بين البحر وتلك البلاد الداخلية[٥٤]، لذا قام السلطان يعقوب بن عبدالحق بتحصينها، وذلك عند تكليفه لإبراهيم بن عيسى (كبير بني وسناف بن محيو) ببناء سور على بادس لزيادة تحصينها[٥٥].

الجزيرة الخضراء

نظرا لأهميتها الحربية لقيت هذه الجزيرة اهتمام كبير من المرينيين، فعن طريقها يمكنهم العبور إلى الأندلس، وتمثل هذا الاهتمام في القيام بتحصينها، وتقوية استحكاماتها، وابرز هذه الأعمال تمت في

زمن السلطان عثمان بن عبدالحق، الذي أمر سنة ٧١٥هـ١٣١٥م، ببناء مدخل أمام القنطرة المؤدية للجزيرة الخضراء؛ حتى يتسنى له مراقبة الداخل إليها والتحكم فيه كما بني حولها سور لزيادة منعتها.[٥٦]

رباط تازة

هي مدينة تقع شمال المغرب الأقصى، سيطر عليها المرينيون سنة٦٤٦هـ١٢٤٨م[٥٧]، وذلك لعدة أسباب منها: أولا: عامل عسكري، فهي متاخمة لأملاك بني عبدالواد بتلمسان. لذا اتخذوها قاعدة لمراقبة أحوالهم، وهذا ما أشار إليه ابن زرع عند حديثه عن يعقوب بن عبدالحق: "خرج من مدينة فاس إلى رباط تازة يستشرف منها أخبار يغمراسن بن زيان"[٥٨] وكان ذلك سنة ٦٥٨هـ١٢٥٩م ، والعامل الثاني تجارى فهي تقع على ممر مهم لعبور القوافل التجارية من فاس تجاه الشرق، وهذا جعل منها منطقة تجارية لها أسواق كبرى تعرض فيها مختلف البضائع، كما اشتملت على فنادق لإيواء الوافدين إليها، هذا الجانب جعلها تتمتع بثراء[٥٩]، لذا أصبحت محط أنظار المرينيين. لوحة رقم ١٢

رباط الفتح جبل طارق

أهم تحصينات بها كانت زمن السلطان أبا الحسن سنة ٧٣٣هـ١٣٣٣م بعد استرجاعها من يد النصارى القشتاليين الذين سيطروا عليها سنة ٧٠٩هـ١٣٠٩م،حيث بدأ ببناء استحكاماتها، وترميم مواطن الضعف بها، وأقام بها مختلف المرافق وشحن مخازنها بالمؤن، والأسلحة، كما زوده بحامية حربية من العناصر المقاتلة للمرابطة بها[٦٠]، ولقد وصف لنا ابن بطوطة تلك الاستحكامات بقوله: "وأول بلد شاهدتها من البلاد الأندلسية جبل الفتح، فلقيت بها خطيبها الفاضل أبا زكريا يحيى بن السراج الرندي، وقاضيها عيسى البربري، وعنده نزلت.وتطوفت معه على الجبل، فرأيت عجائب ما بني مولانا أبا الحسن رضي الله عنه وأعد فيها من العدد، وما زاد على ذلك مولانا أيده الله . يقصد السلطان أبا عنان ..ووددت أن لو كنت ممن رابط بها إلى نهاية العمر". ولقد واصل السلطان أبا عنان مراقبة الجبل ومرافقه وصيانة وتحصين ما طاله الخراب، فعلى ما يبدو انه لاحظ ضعفا في السور فبني سورا جديد، وزاد من القوات المقاتلة داخله[٦١].

قصبة العرائش

بناها المرينيون زمن يعقوب بن عبدالحق وتحديدا سنة ٦٥٧ هـ١٢٥٨م[٦٢].

قصبة مكناس

بناها المرينيون سنة ٦٧٤ هـ١٢٧٥م، وقاموا بتحصينها، وبنو بها العديد من المنشآت المدنية أهمها مدرسة الشهود، وكانت تسمى باسم مدرسة القاضي، لأن القاضي أبو علي الونشريسى يعطى بها دروس، وفي زمن السلطان أبا الحسن أضافوا لها زاوية المشاورين، وزاوية القورجة والعديد من القناطر والمرافق.

قلعة شفشاون

أسسها أبو حسون المريني سنة ٨٦٦ هـ١٤٦١م قبل اضمحلال الدولة المرينية بثلاث سنوات[٦٣].لوحة رقم ١٣

٦- الأبراج الخشبية

وهي عبارة عن بناء متحرك يغطى بالحديد والجلد، يستخدم للاقتراب من أسوار مدن العدو بهدف التضييق عليها، وغالبا ما كان يتم تسييره بعجلات من الحديد أو الخشب.

ويتكون البرج من عدة طوابق يصل بينها سلم داخلي، وفوق البرج توجد قنطرة ثلقى على أسوار المدن لكي يتمكن الجند من الصعود إليها واقتحامها[٦٤]، وقد قام المرينيون ببناء أبراج خشبية أمام أسوار المدن المحاصرين لها؛ لان هذه الأبراج تمكن فرقة الرماة من رمي الأعداء وإضعاف حركتهم ولقد أستخدم هذا الأسلوب في عهد السلطان أبى الحسن حيث "شيد قبالة كل برج من أبراج البلد برجا" عند حصاره لتلمسان سنة ٧٦٣هـ/١٣٣٥م.

وبالطبع جاء هذا بنتيجة طبية، وكذلك استخدمت الأبراج في عهد السلطان أبى عنان أثناء حصاره لقسنطينة عام ٧٥٨هـ، وذلك لشدة تحصينها، حيث قام بإنشاء عدة أبراج خشبية أمام أبوابها، وأمر بأن تقام الأبراج على خط واحد، وعهد إلى عدد من قواده ببناء هذه الأبراج، كما انه تولى بنفسه الإشراف علي بناء احد هذه الأبراج.[٦٥]

خاتمة

من خلال هذا البحث الذي تعرض لأنواع التحصينات والإستحكامات في العمارة الحربية بالغرب في عصري الموحدين والمرينيين نلاحظ أن الاهتمام كان ببناء العديد من التحصينات أوالاستحكامات على مدنهم وباقي منشآتهم من اجل حمايتها مثل الأسوار والأبراج والمداخل ، كما نلاحظ بنائهم للأبراج العائمة فوق الماء وحرصهم على الرقى بالجانب الجمالي للمنشآت الدفاعية واستحكاماتها ، كما لاحظنا ترميم وبناء المنشآت الحربية في مختلف أنحاء دولتهم سواء على السواحل أو المناطق الداخلية وتنوع الوظائف الحربية للمدن الموحدية و المرينية،فمنها ما اشتمل على محطة حربية لاستراحة الجند وتموينها بما يلزم،والبعض تم تأسيسها من اجل مراقبة المدن التي قد تظهر بها ثورات،والبعض الأخر تم بنائها لاحتوائها على مواقع مهمة مثل دور الصناعة،وهناك مدن أنشئت بمناطق ثغورية أو حدودية استخدمت لشن الغارات على الدول المجاورة،وأخري أنشئهاالمرينيون بهدف حصار مدن الأعداء أو من اجل مراقبة سواحل الدولة للحيلولة دون رسو سفن الأعداء بها، وفي النهاية يمكن الإشارة لبعض القضايا التي ربما تكون مستقبلا موضوع دراسة منها موقع الدولة وأثرها في قوتها الحربية، والأوضاع الاقتصادية ومدى تأثيرها في الجانب الحربي للدولة الموحدية والمرينية.

حواشي البحث

***- أستاذ الأثار والفنون الإسلامية - كليه الآثار - قسم اثار إسلامية - جامعه القاهرة**
****- أستاذ الأثار والعمارة الإسلامية - كليه الآثار - قسم اثار إسلامية - جامعه القاهرة**
*****- أستاذ الأثار والعمارة الإسلامية المساعد - كليه الآثار - قسم اثار إسلامية - جامعه القاهرة**
******- طالب ماجستير - كليه الآثار - قسم اثار إسلامية - جامعه القاهرة**

(١) - محمد بن محمد الحسين ابن العنابي : السعي المحمود في نظام الجنود ، تحقيق محمد عبد الكريم الجزائري ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ١٩٨٣م،ص١٣٠.

(٢)- أكرم ديري وأخرون : الموسوعة العسكرية ،ج١،ط١،المؤسسة العربية للطباعة والنشر ،١٩٨٠،ص ٢٧٥،٢٥٦.

(٣)- محمد طه محمد الأعظمي : "الأسوار والتحصينات الدفاعية في العمارة العراقية القديمة"، (رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، ١٩٩٢،ص١٩٢.

(٤)- إن اعتبار الأبراج والمداخل جزء من السور لاينفي فصلها لوحدها باعتباره من ضمن المنشآت الدفاعية،ولها تصاميم وطرق بناء كثيرة يطول الحديث عنها ،لذا سوف تحل الأبراج والمداخل عناصر لوحدها .

(٥)- خميسي بولعراس :فن الحرب بالغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين ،رسالة دكتوراه ،اشراف كمال بن مارس ،كلية الأداب و العلوم الإنسانية ،قسم التاريخ وعلم الآثار ،باتنة ،الجزائر ، ص٨٥.

(٦) - فتحي زغروت :الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين (المغرب والأندلس)،ط١ ،دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة ٢٠٠٥،ص١٨٨.

(٧) - خميس بولعراس : فن الحرب بالغرب الإسلامي ، ص٨٦.

(٨) - خميس بولعراس : فن الحرب بالغرب الإسلامي ،ص٣٩٦،٣٩٤.

(٩) - جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، نسخ وتصحيح وتعليق محمد بهجة الأثري، مطبعة دار السلام ،بغداد، ١٣٤٢هـ . ص ١٩.

(١٠)- احمد بن جعفر الناصري : سلا ورباط الفتح أسطولهما وقرصنتهما الجهادية،تحقيق، احمد بن جعفر الناصري،ج٢ ،٢٠٠٦م، مطبعة المعارف الجديدة الرباط ،ص١١٨.

(١١) - محمد عياش : "الاستحكامات العسكرية المرينية من خلال مدينتي فاس الجديد،والمنصورة بتلمسان (دراسة تاريخية أثرية) ،رسالة ماجستير،غير منشورة،جامعة الجزائر،الجزائر،٢٠٠٥-٢٠٠٦م،ص٢٨.

(١٢) - ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج٧ ،ضبط المتن والحواشي والفهارس خليل شحادة، راجعه سهيل زكار، دار الفكر، بيروت- لبنان،٢٠٠٠م. ،ص٢٣٦,٢٩٣.

(١٣) - روجيه لوترن : فاس في عصر بني مرين، ترجمة د . نقولا زيادة، سلسلة مركز الحضارة، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر ، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٦٧ ،ص٤٠.

(١٤)- الخنادق :مفرده خندق ،مصطلح فارسي ،"كنده" معناه الشيء المحفور ،وهو أحد الأساليب الدفاعية في النظم احلربية ،يكون محفورا في الأرض بأعماق مختلفة لتأمني حماية المقاتلين ،من أنظار العدو ،موسى هيصام ،الدفاعات الحربية الحمادية منشآت وتقنيات ،دراسات تراثية :العدد ٥ ، الجزائر ، ٢٧ نوفمبر ٢٠١٤ ،ص ٨٩.

(١٥)- فتحي زغروت : الجيوش الإسلامية وحركة التغيير ،ص ١٨٢ .

(١٦)- خميس بولعراس : فن الحرب بالغرب الإسلامي ، ص٩١

(١٧)- محمد عبد الستار عثمان:"الإعلان بأحكام البنيان لابن رامي " ، دراسة أثرية معمارية ،الإسكندرية ١٩٨٨ ،ص١٣٩ .

(١٨) - لويس معلوف: المنجد في اللغة، بيروت ، ١٩٧٦ ، ص ٣١.

(١٩) - السيد عبد العزيز سالم : العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها ،عالم الفكر ، العدد الأول، مج٨ ،ابريل – مايو- يونيو١٩٧٧م ،ص ١٢٨ .

(٢٠) - الأعظمي : التحصينات الدفاعية ،ص٣٠٦.

(٢١) - فاروق محمد علي : الاستحكامات الدفاعية في تخطيط المدن والعمارة الإسلامية في العراق حتى نهاية العصر العباسي"،(رسالة دكتوراه غير منشورة،جامعة بغداد،٢٠٠٦م)،ورقة ١

(٢٢) - الأعظمي : التحصينات الدفاعية ،ص ٣٠٧

(٢٣) - ـ عبد الله عبد العزيز :الجيش المغربي عبر التاريخ ،منشورات قسم الدبلوماسية ،الرباط ،٣٨٩٢، ص ٢٢ .

(٢٤) - فتحي زغروت : الجيوش الإسلامية وحركة التغيير ، ص ١٩١.

(٢٥) - عياش : الإستحكامات العسكرية ، ص٥٨ .

(٢٦) - محمد بن أحمد بن مرزوق : المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق ماريا خيسوس بيغيرا،الجزائر،المكتبة الوطنية الجزائرية،الشركة الوطنية الجزائرية،١٤٠١هـ١٩٨١ ،ص ٢٦٨ .

(٢٧)- H.BESSET et L.PROVENCAL, Op-Cit, P 52-58.

(٢٨) - روجيه لوترن : فاس في عصر بني مرين ،ص ٣٧-٣٩.
(٢٩) – ابن مرزوق : المسند الصحيح ، ص٣٩٨ .
(٣٠)– السيد عبد العزيز سالم : العمارة الإسلامية في الأندلس ، ص١٦٧.
(٣١)- خميس بولعراس : فن الحرب بالغرب الإسلامي ، ص٨٧.
(٣٢)- فتحي زغروت : الجيوش الإسلامية وحركة التغيير ، ص ١٩٣ .
(٣٣) - الأعظمي : التحصينات الدفاعية ، ص٢٩٤ .
(٣٤)- محمود عبد العزيز لعرج : المباني المرينية في أمارة تلمسان الزيانية (دراسة فنية وأثرية ومعمارية)،رسالة دكتوراه في الآثار،معهد الآثار،جامعة الجزائر،١٩٩٠ -١٩٩١م ، ص١٧٥ .
(٣٥) - H.BESSET et L.PROVENCAL, Op-Cit, P53
(٣٦) - كمال الدين سامح : العمارة في صدر الإسلام،مطبعة جامعة القاهرة،١٩٧١م،ص٥٨.
(٣٧) - ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، ج٢ ،ط٢ ،مكتبة الخانجى، ١٣٩٤هـ١٩٧٤م. ، ص٢٥.
(٣٨) - ابن الأحمر : روض النسرين في دولة بني مرين، تحقيق عبدالوهاب بن منصور، ط٢ ،الرباط،المطبعة الملكية،١٩٩١م، ص٢٩.
(٣٩) - الناصري : سلا ورباط الفتح أسطولهما وقرصنتهما الجهادية،تحقيق، احمد بن جعفر الناصري، ،٢٠٠٦م، مطبعة المعارف الجديدة الرباط،ج٢ ، ص٢١.
(٤٠) - العمري، مسالك الأبصار، (الممالك الإسلامية في اليمن والمغرب والأندلس وأفريقيا)، تحقيق محمد عبدالقادر خريسات آخرون، ج٤ ،مركز زايد للتراث،٢٠٠١، ص ٢٥٩-٢٦٠-٢٦١ .
(٤١) - ابن مرزوق: المسند الصحيح ،ص٢٢٧.
(٤٢) - ابو عبيد الله البكري : أبي عبيد، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ،ص١٠٥.
(٤٣) - عبد الله محمد بن ابي القاسم السبتي : اختصار الأخبار عما كان بسبتة من سني الآثار،تحقيق عبدالوهاب بن منصور،الرباط،ط٢،١٩٨٣م ،٣٢،٣٣.
(٤٤)- ابن مرزوق :المسند الصحيح ، ص ٢٦٦.
(٤٥) - السبتي : اختصار الأخبار عما كان بسبتة من سني الأثار ،ص ٤٦،٤٧.
(٤٦) - ابراهيم حركات : ،المغرب عبر التاريخ،ج٢ ،٢٠٠٠م، ص٣٧١.
(٤٧) - حسن علي حسن ،الحضارة الإسلامية في المغرب و الأندلدلس عصر المرابطين و الموحدين ،مكتبة الخانجي ،القاهرة ،مصر ،١٩٨٠ ، ص٣٩٣.
(٤٨) - أحمد مختار العبادي : دراسات في تاريخ المغرب ،مؤسسة شباب الجامعة ،الأسكندرية ،مصر ،١٩٨٨،ص ٣٩٣
(٤٩) - ابن ابي زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس،مراجعة عبدالوهاب بن منصور، ط٢ ،الرباط، المطبعة الملكية، ١٩٩٩م. ، ص ١٨٩ .
(٥٠) - القصبة :هي تسمية بمعنى القلعة ولقد شاع استخدامها ببلاد المغرب والأندلس،وهي ذات طابع حربي فهي تشمل مقر إقامة السلطان ،وبها مباني لإقامة الجند،ومسجد للصلاة.
(٥١) - ابراهيم حركات:(العمران وفن البناء في عهد المرينيين)، دعوة الحق،ع٦،السنة ٧ ،ذو القعدةامارس ١٩٦٤م،ص٤١.
(٥٢) - السلاوي : الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصي،تحقيق وتعليق احمد السلاوي،ج٤،وزارة الثقافة والاتصال،٢٠٠١م،ص ٩٤-٩٥.
(٥٣) - ابن أبي زرع:القرطاس،ص٣٠١.
(٥٤) - حسن الوزان : وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي- محمد الأخضر،ج١،ط٢،بيروت،١٩٨٣م،ص٣٢٧.
(٥٥) - ابن خلدون،العبر،ج٧،ص٢٥٦.
(٥٦) - السلاوي: الإستقصاء ،ج٤،ص١٠٥.
(٥٧) - ابن زرع،القرطاس،ص ٢٩٣.
(٥٨)- ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص ٣٠١.
(٥٩) - الوزان،وصف أفريقيا،ج٢،ص٢.
(٦٠) - ابن مرزوق : المسند الصحيح ، ص ٢٦٥-٢٦٦.
(٦١) - ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار،اعتنى به وراجعه درويش الجويدي،ج٢،بيروت،المكتبة العصرية، ٢٠٠٩م ، ص ٣٠٨.

(٦٢) - حركات: (العمران) المرجع السابق،ص٤١.
(٦٣) - حركات: (العمران) المرجع نفسه ،ص٤١.
(٦٤) - عبد الرحمن زكي : السلاح في الإسلام ، ط١ ، الجمعية التاريخية ، دار المعارف ، ص١٤،١٣.
(٦٥) - ابراهيم بن عبد الله النميري : فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب،دراسة وإعداد د. محمد بن شقرون،ط١،بيروت،دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٠ ، ص٢٩٦

مخططات وأشكال ولوحات البحث

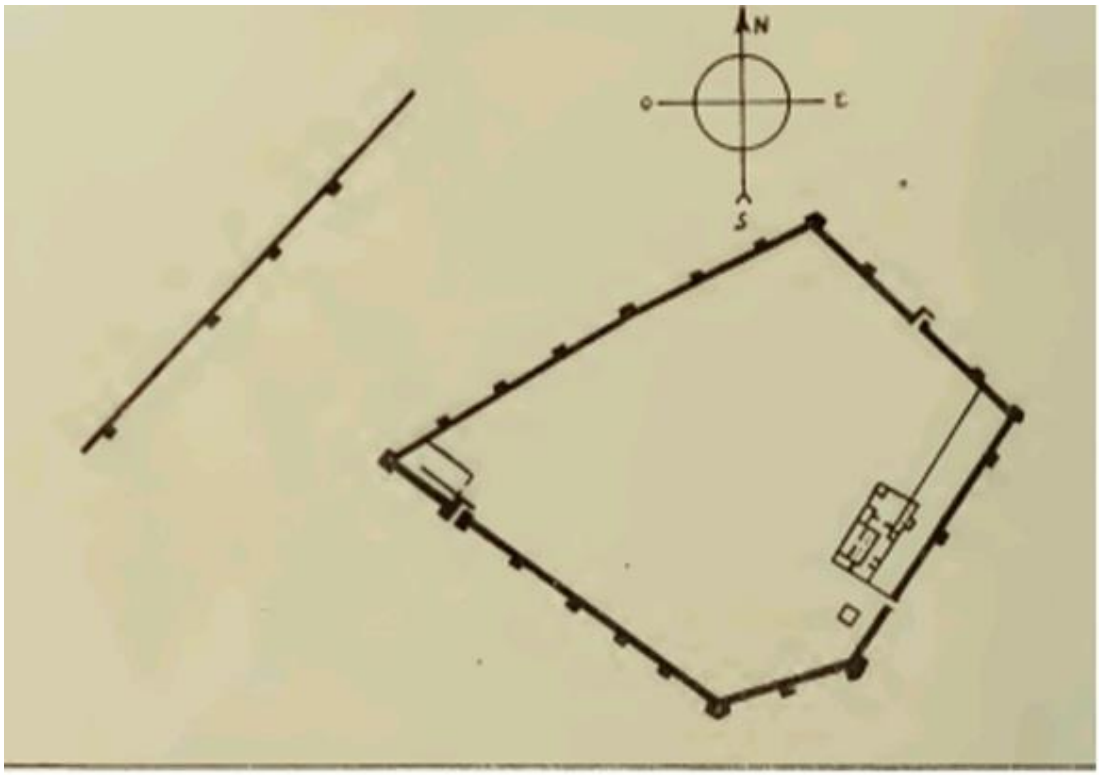

المخطط (١) المخطط العام للمدن في المغرب والأندلس

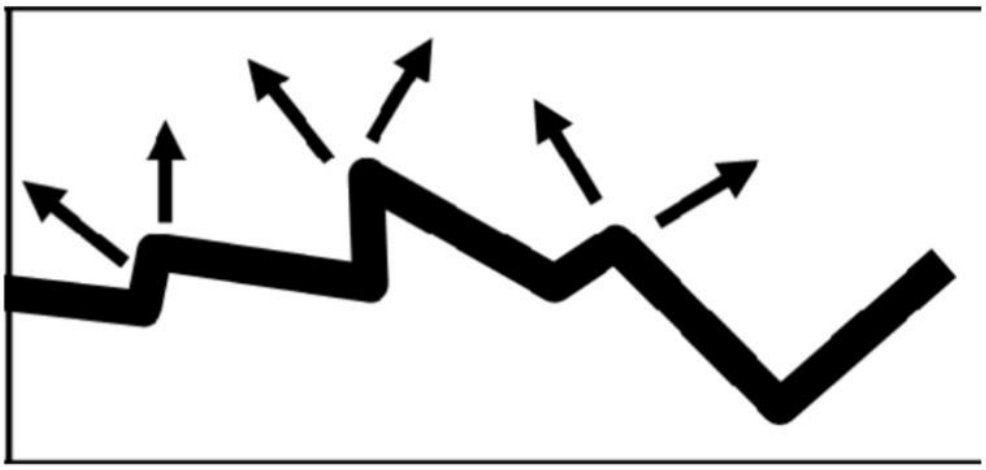

شكل (١) توزيع الزوايا والأبراج علي السور نقلا عن محمد عياش – الإستحكامات العسكرية المرينية من خلال مدينتي فاس الجديد، والمنصورة بتلمسان (دراسة تاريخية أثرية)، رسالة ماجستير

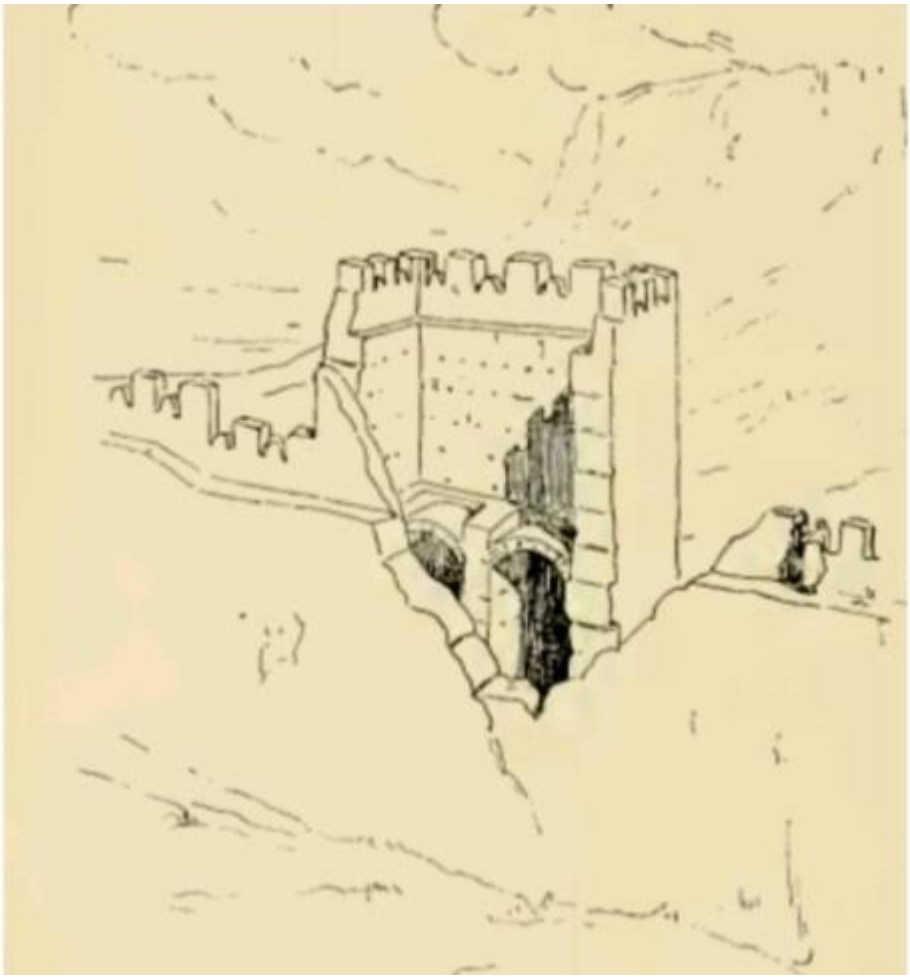

شكل (٢) قبوات نصف كروية تغطى الغرف بالأبراج _ المنصورة بتلمسان . نقلا عنW et G

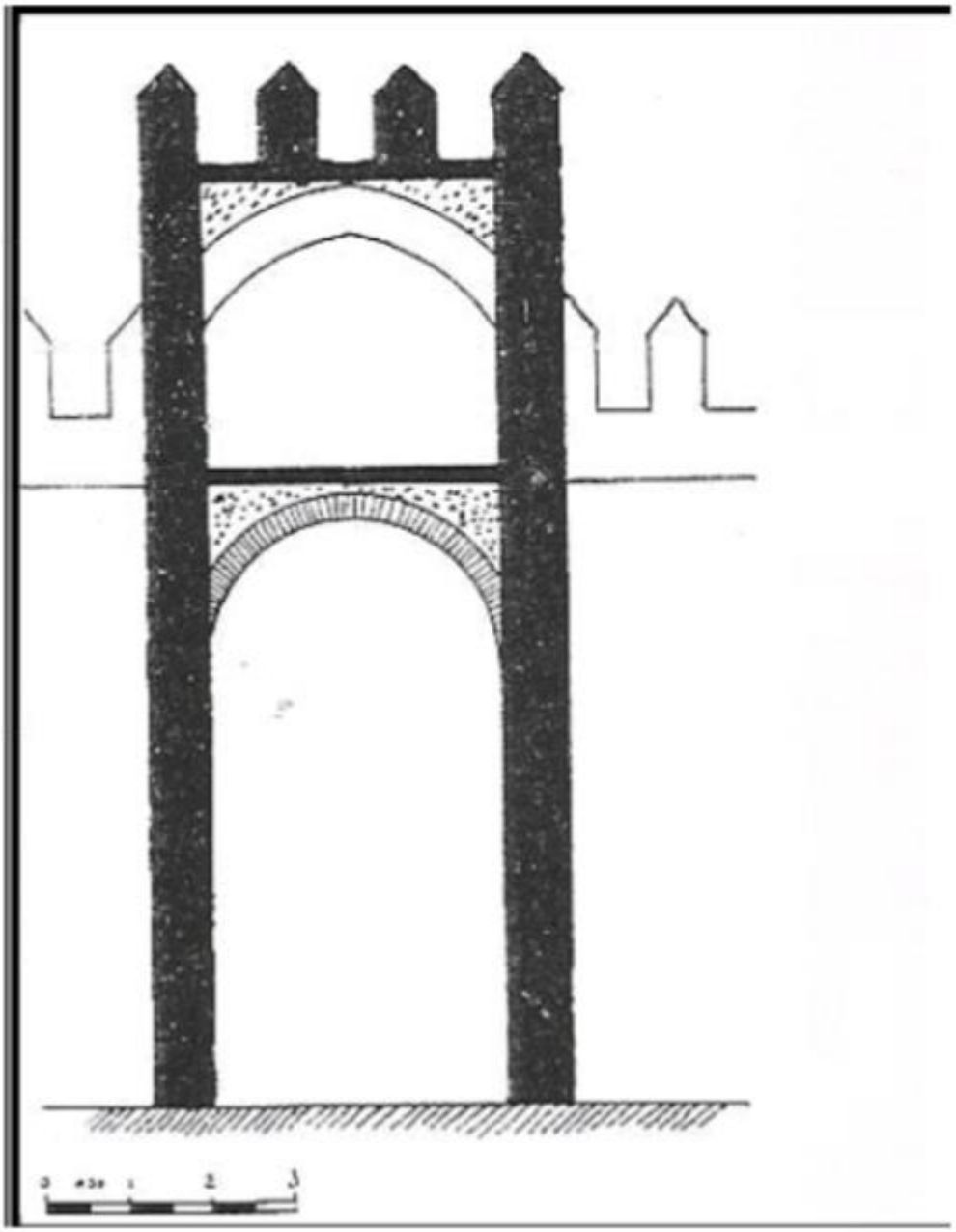

شكل (٣) شكل القباب داخل الأبراج .نقلا عنPROVENÇAL. L et BASSET. H .G

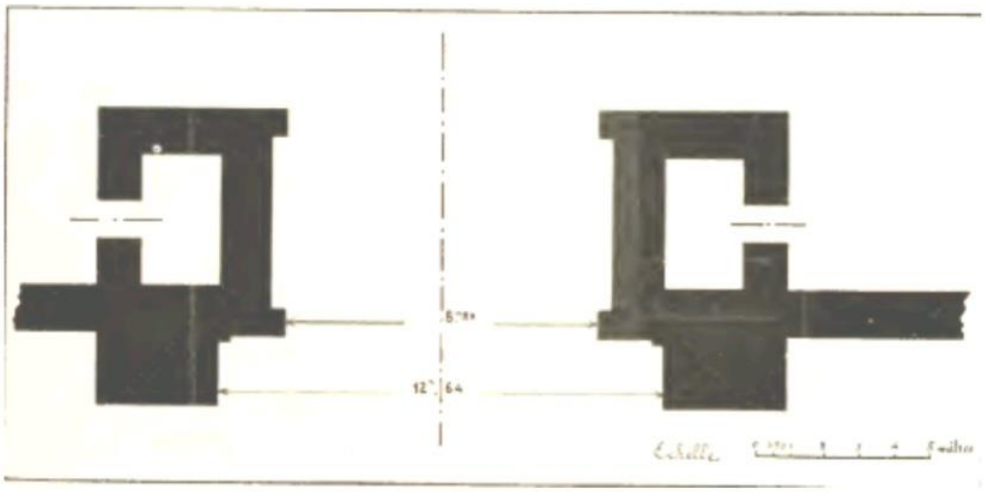

شكل (٤) بابا البرجين وهما يفتحان داخل المدينة . دار صناعة سلا . نقلا عنH . TERRASSE

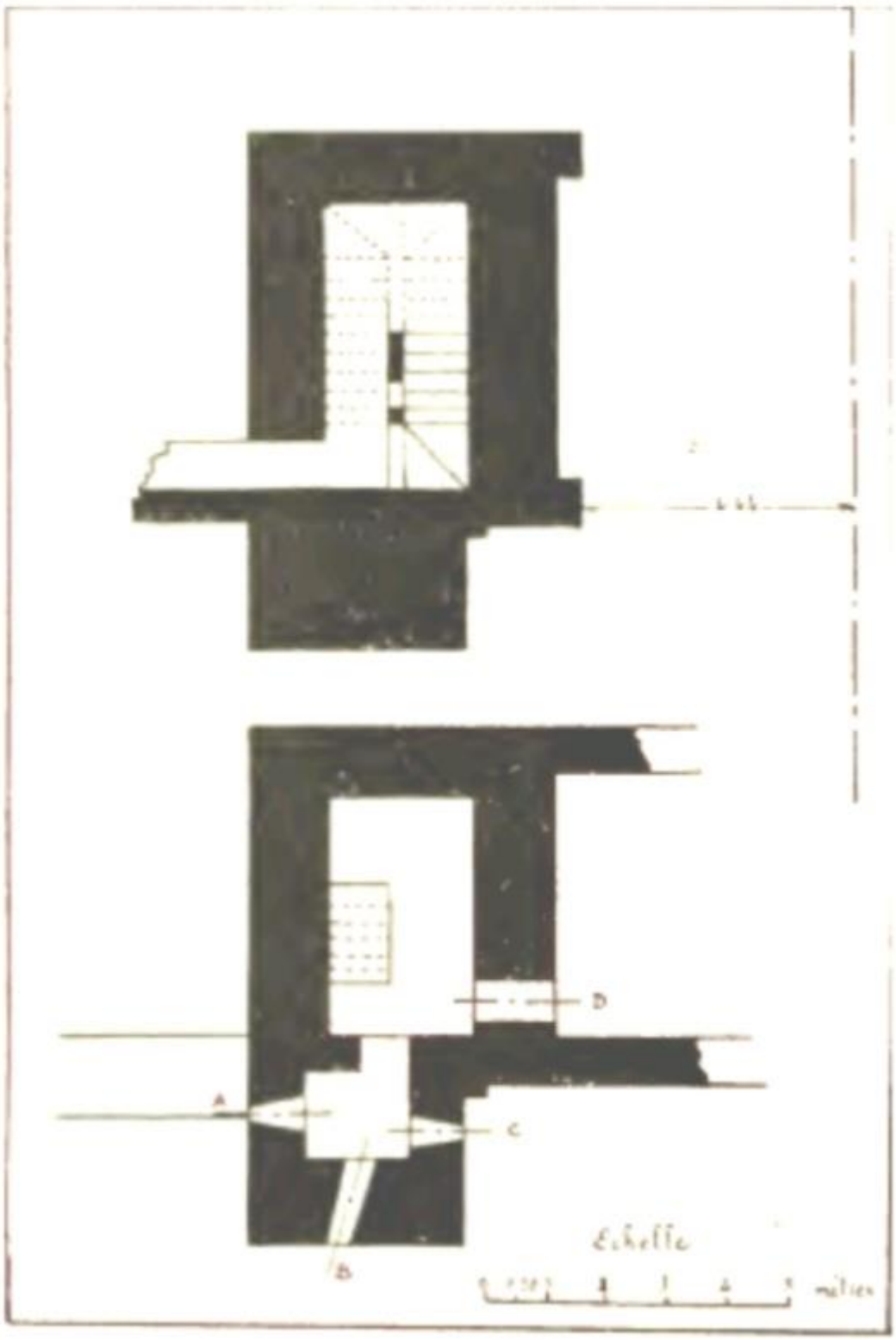

الشكل (٥) الحجرات فوق الأبراج . المدخل القبلي لدار صناعة سلا . نقلا عنH . TERRASSE

لوحة رقم (١) سور تاكروت في تلمسان نقلا عن مديرية السياحة والصناعة التقليدية لولاية تلمسان

لوحة رقم (٢) برج الذهب بإشبيلية نقلا عن الأندلس اليوم

لوحة رقم (٣) القصبة بمدينة المنصورة بتلمسان نقلا عن G .H. BASSET et L. PROVENÇAL.

لوحة رقم (٤) بقايا قنطرة القاضي بغرناطة نقلا عن AhambraDeGrnad.org

لوحة رقم (٥) مدخل باب السبع وبرجاه . مدينة فاس . نقلا عن عياش.

لوحة رقم (٦) قصبة الأوداية البوابة الرئيسية – عامر عجلان من رسالة دكتوراة القصاب الباقية بالأندلس والمغرب الأقصي

لوحة رقم (٧) السور الشرقي لقصبة الأوداية عبد العزيز صالح سالم – الآثار الإسلامية في مدينتي سلا ورباط الفتح

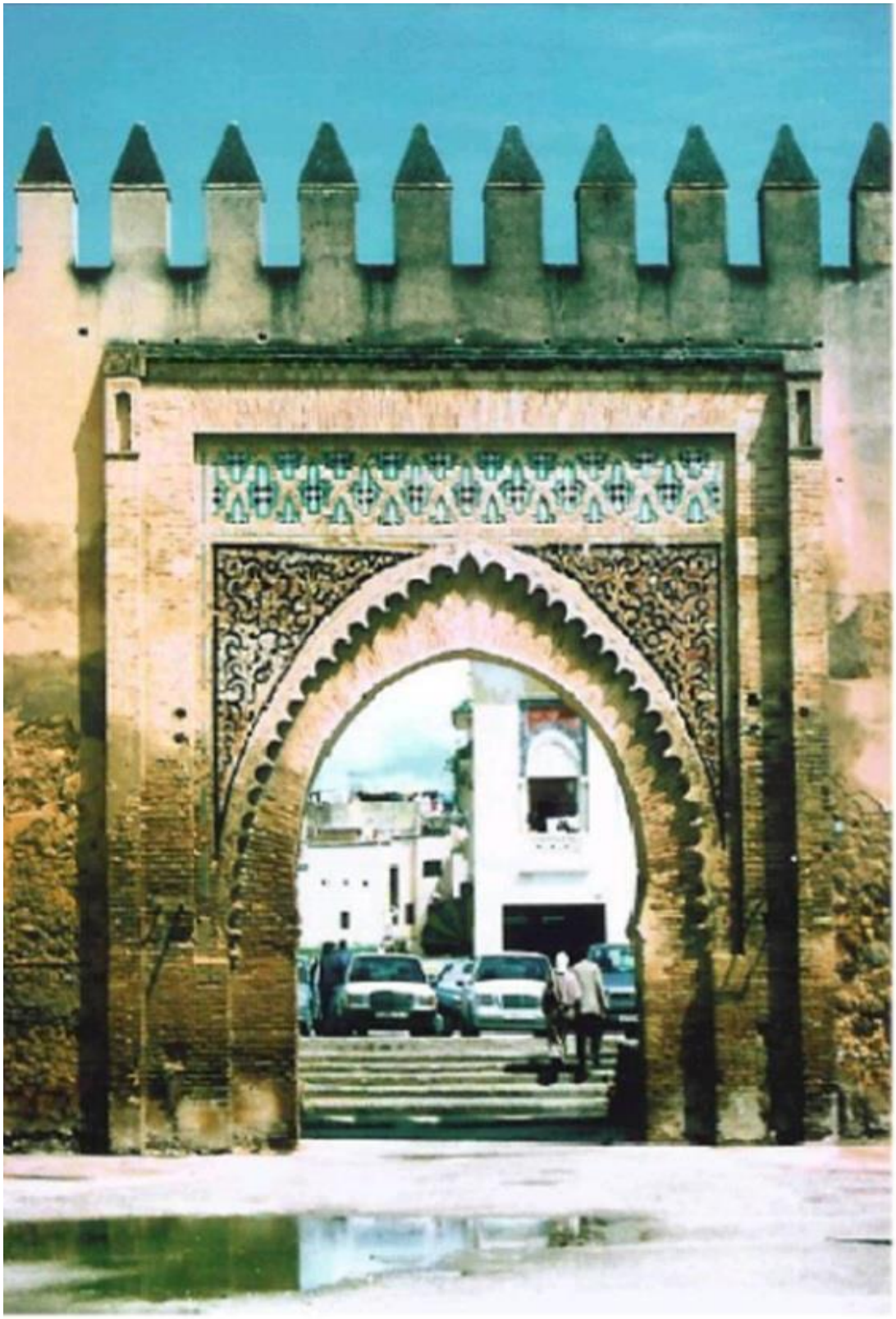

لوحة رقم (٨) مدخل باب الأمر . فاس الجديدة . نقلا عن عياش.

لوحة رقم (٩) قصبة المهدي بمدينة القنيطرة بالمغرب نقلا عن موقع وزارة الثقافة المغربية

لوحة رقم (١٠) منظر عام لمدينة تطوان العتيقة سنة ١٨٠٠م محمد حسن عبد الفتاح – العمارة الدينية في مدينة تطوان

لوحة رقم (١١) احد ابواب مدينة سلا نقلا عن موقع وزارة الثقافة المغربية

لوحة رقم (١٢) رباط مدينة تازة – نقلا عن مريم التايدي – مقال نشر بمدونة الجزيرة بتاريخ ٢٥-٢-٢٠٢٠ تحت عنوان (من أقدم المدن العالمية – تازة بوابة المغرب)

لوحة رقم (١٣) قصبة شفشاون – نقلا عن موقع المكتب الوطني المغربي للسياحة